

Supplication in al-Sarsari's Prophetic Praises According to the Muhammadan Reality Theory

التَّوَسُّلُ فِي مَدَائِحِ الصَّرَصَرِيِّ النَّبَوِيَّةِ وَفَقْ نَظَرِيَّةِ الحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

Muhammad Dawud Kabha^{1*}

¹ PhD student in Arabic language and literature, An-Najah National University, Palestine.

* Corresponding Author: Muhammad Kabha (mkabha2000@yahoo.com)

محمَّد داوود كبا^{1*}

¹ دكتوراه في اللغة العربية وآدابها- جامعة النَّجَّاح الوطنية- فلسطين.

* الباحث المراسل: محمَّد كبا (mkabha2000@yahoo.com)



This file is licensed under a

[Creative Commons Attribution 4.0 International](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

Accepted

قبول البحث

2026/5/31

Revised

مراجعة البحث

2026/5/3

Received

استلام البحث

2026/4/1

DOI: <https://doi.org/10.31559/IALLS2026.8.2.1>

Abstract:

Objectives: This study aims to introduce the reader to one of the greatest "Sufi" poets who became famous for their praise of the Prophet Muhammad (peace be upon him) during the early Mamluk era, namely the poet Abu Zakariya Yahya ibn Yusuf al-Sarsari. He lived in Baghdad and died there as a martyr when it fell in 656 AH. The study generally examines the origins of the Muhammadan Reality theory, which the Sufis believed in, and demonstrates the extent to which it is reflected in al-Sarsari's poetry in general. Furthermore, this study focuses on an important aspect of the Muhammadan Reality theory and its implications: the issue of seeking intercession through the Prophet Muhammad (peace be upon him) in al-Sarsari's poetry and his prophetic praises, in which he excelled. It delves into exploring the meanings, types, and objectives of this intercession.

Methodology: The study adopted a descriptive-analytical approach based on applied readings of the panegyrics to the Prophet Muhammad (peace be upon him) composed by the poet al-Sarsari, focusing on the aspects of the Muhammadan Light theory contained within them, particularly those related to supplication through the Prophet Muhammad (peace be upon him.).

Conclusion: The study concludes that supplication through the Prophet Muhammad (peace be upon him) in the panegyrics to the Prophet in Sufi poetry is diverse in its forms, imagery, and objectives. It also concludes that this supplication had a positive and vital role in strengthening the poet's psychological resilience during the Mongol invasion. This was manifested in his steadfastness in the face of the invaders and his resistance to them with all his might, even to the point of challenging them with a staff and stones before his martyrdom.

Keywords: Prophetic Praise Poetry; Muhammadan Reality Theory; Sufi Poetry; Al-Sarsari; Seeking Intercession through the Prophet Muhammad in Poetry; Mamluk Era.

الملخص:

الأهداف: تسعى هذه الدراسة إلى تعريف القارئ على أحد أعظم الشعراء "الصوفيّين" الذين اشتهروا بمدائحهم للنبي محمد ﷺ في العصر المملوكي الأول، وهو الشاعر أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصرى؛ الذي عاش في بغداد، ومات فيها مقتولاً شهيداً عند سقوطها سنة 656هـ، وتنظر الدراسة بصورة عامة في أصول نظرية الحقيقة المحمدية التي آمن بها المتصوفة، وتبيان مدى انعكاسها في أشعار الصرصرى على وجه العموم، ثم إنّ هذه الدراسة تختص في جانب هامّ من جوانب نظرية الحقيقة المحمدية ونتائجها، وهو مسألة التَّوَسُّل بالنبي محمد ﷺ في أشعار الصرصرى ومدائحه النبوية التي برع فيها، وتخوض في استكشاف معاني هذا التَّوَسُّل وأنواعه وأهدافه.

المنهجية: اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي القائم على قراءات تطبيقية للمدائح النبوية التي نظمها الشاعر الصرصرى، وما فيها من جزئيات نظرية النور المحمدي، وخاصة تلك الجزئية المتعلقة بالتَّوَسُّل بالنبي محمد ﷺ.

الخلاصة: تخلص الدراسة إلى أنّ التَّوَسُّل بالنبي محمد ﷺ في المدائح النبوية في الشعر الصوفي متنوع الأشكال والصور والأهداف، وتخلص كذلك إلى وجود تأثير إيجابي ودور حيوي فعال لهذا التَّوَسُّل في كل ما يتعلق بتعزيز الصمود النفسي للشاعر أثناء الغزو المغولي، وقد تجلّى ذلك بثباته في وجه الغزاة ومقاومته لهم بكل ما أوتي من قوة؛ حتّى وصل به الحال إلى أن تحدّاهم بالعبّاز والحجارة قبل استشهاده.

الكلمات المفتاحية: المدائح النبوية؛ نظرية الحقيقة المحمدية؛ الشعر الصوفي؛ الشاعر الصرصرى؛ التَّوَسُّل بالنبي محمد ﷺ في الشعر؛ العصر المملوكي.

الاستشهاد

Citation

كبا، محمد. (2026). التَّوَسُّلُ فِي مَدَائِحِ الصَّرَصَرِيِّ النَّبَوِيَّةِ وَفَقْ نَظَرِيَّةِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ. *المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية*، 8 (2)، 65-75.

Kabha, M. D. (2026). Supplication in al-Sarsari's Prophetic Praises According to the Muhammadan Reality Theory. *International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies*, 8 (2), 65-75. <https://doi.org/10.31559/IALLS2026.8.2.1> [In Arabic]

المَقْدَمَةُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْأَمِينِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَنُورِ الْكَوْنِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْدُ:

فَإِنَّ الْمَدَائِحَ النَّبَوِيَّةَ لَدَى الشُّعْرَاءِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ انْطَلَقَتْ وَشَقَّتْ طَرِيقَهَا فِي مِيَادِينِ الشُّعْرِ وَفَنُونِهِ مِنْذُ عَهْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ لِحَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ وَكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الشُّعْرَاءِ الصَّحَابَةِ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي ازْدِهَارِ هَذَا النُّوعِ مِنَ الشُّعْرِ.

وَقَدْ كَثُرَتْ الْمَدَائِحُ النَّبَوِيَّةُ وَعَظُمَ شَأْنُهَا بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَعَهْدِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَبَنِي الْعَبَّاسِ، لَكِنَّ مَكَانَهَا السَّامِيَةَ كَانَتْ قَدْ بَرَزَتْ لَدَى الشُّعْرَاءِ الصُّوْفِيِّينَ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِنَظَرِيَّةِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، تِلْكَ النَّظَرِيَّةُ الَّتِي رَاحَتْ تَظْهَرُ فِي عَصْرِ الْحَلَّاجِ، ثُمَّ انْضَحَتْ مَعَالِمُهَا فِي الْعَصْرِ الَّذِي عَاشَهُ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ وَمَنْ تَلَاهُ، فَأَبْدَعَ الشُّعْرَاءُ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، وَفِي إِظْهَارِ مَنَاقِبِهِ وَصِفَاتِهِ وَنُورِهِ الْمُتَوَهِّجِ وَمُعْجَزَاتِهِ، وَأَثَرَهُ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا.

وَسَأَحَاوَلُ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ لَفْتَ النَّظَرِ إِلَى نَظَرِيَّةِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَأَثَرِهَا عَلَى الشُّعْرَاءِ الصُّوْفِيِّينَ، وَتَحْدِيدًا عَلَى الشَّاعِرِ يَحْيَى بْنِ يُوْسُفِ الصَّرَصِيِّ، وَالَّذِي عُرِفَ بِتَصَوُّفِهِ الْمُعْتَدِلِ وَحِرْصِهِ عَلَى السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ وَدِفَاعِهِ عَنْهَا، وَمَحَبَّتِهِ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَدْحِهِ لَهُ فِي عَشْرَاتِ الْقَصَائِدِ. وَقَدْ وَضَعْتُ نَصَبَ عَيْنِي اسْتِكْشَافَ الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي نَظَّمَهَا الشَّاعِرُ الصَّرَصِيُّ، وَإِظْهَارِ عِلَاقَتِهَا بِنَظَرِيَّةِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ. فَكَمْتُ بِتَقْسِيمِ الدِّرَاسَةِ إِلَى تَمْهِيدٍ وَبَابَيْنِ:

يَتَنَاوَلُ التَّمْهِيدُ فِيهَا نَبْذَةً عَنْ حَيَاةِ الشَّاعِرِ الصَّرَصِيِّ، مَوْلَدِهِ وَنَشَأَتِهِ، وَالْبَيْئَةِ الَّتِي عَاشَ فِيهَا، وَمَا وَاقَهَا مِنْ صَرَاعَاتٍ وَحُرُوبٍ وَانْكَسَارَاتٍ، وَظُرُوفٍ سِيَاسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ، مَعَ الْإِهْتِمَامِ بِإِظْهَارِ عِلَاقَتِهِ بِالفِكرِ الصُّوْفِيِّ آنَ ذَاكَ، ثُمَّ تَقْدِيمَ نَبْذَةٍ عَامَّةٍ عَنْ أَصُولِ نَظَرِيَّةِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، كَمَا وَرَدَتْ فِي الْفِكرِ الصُّوْفِيِّ، وَكَمَا بَيَّنَّهَا مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ.

وَفِي الْبَابِ الْأَوَّلِ سَيَدُورُ الْبَحْثُ عَنْ نَظَرِيَّةِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي شُعْرِ الصَّرَصِيِّ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ، وَتَوْضِيحُهَا مِنْ خِلَالِ قَصِيدَةٍ مُخْتَارَةٍ نَظَّمَهَا الصَّرَصِيُّ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ.

فِيمَا سَيُنَاقِشُ الْبَابُ الثَّانِي بَاسْتِفَاضَةِ مَسْأَلَةِ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي مَدَائِحِ الصَّرَصِيِّ النَّبَوِيَّةِ، انْطِلَاقًا مِنْ تَعْرِيفِ مَفْهُومِ التَّوَسُّلِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا، ثُمَّ النَّظَرُ فِي أَهْدَافِ الشَّاعِرِ مِنَ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ سَيَكُونُ مَمْرُوجًا بِقِرَاءَةِ وَدِرَاسَةِ قَصَائِدٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمُخْتَارَةٍ نَظَّمَهَا الصَّرَصِيُّ فِي مَدْحِ سَيِّدِ الْبَشَرِيَّةِ ﷺ، عَلَنِي أَنْجَحَ فِي نِهَآيَةِ الْمَطَافِ بِقِرَاءَةِ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ مِنْ زَاوِيَةٍ صُوفِيَّةٍ. وَتَنَاوَلُ مَسْأَلَةُ التَّوَسُّلِ وَالتَّعَرُّفُ عَلَى مَكُونَاتِهِ وَأَسْرَارِهِ؛ لَا سِيَّمَا أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ تَعْتَبَرُ وَاحِدَةً مِنْ نَتَآئِجِ نَظَرِيَّةِ النُّورِ الْمُحَمَّدِيِّ، وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ وَاجِبِي أَنْ أَتَعَمَّقَ فِي قِرَاءَةِ دَلَالَتِهَا قِرَاءَةً مَوْضُوعِيَّةً مَفِيدَةً، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

التَّمْهِيدُ:

الشَّاعِرُ الصَّرَصِيُّ هُوَ أَبُو زَكْرِيَا، يَحْيَى بْنُ يُوْسُفَ بْنِ يَحْيَى بْنِ مَنْصُورٍ بْنِ الْمُعَمَّرِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ الْأَنْصَارِيِّ الصَّرَصِيِّ، وُلِدَ وَتَرَعَرَ فِي بَلَدَةِ صَرْصَرِ الْقَرِيبَةِ مِنْ بَغْدَادِ عَامَ 588 هـ، وَسَرَعَانَ مَا أَصْبَحَ أَدِيبًا وَلُغَوِيًّا وَكَاتِبًا وَنَاطِقًا لِلشُّعْرِ، حَتَّى وَصَلَتْ شَهْرَتُهُ الْآفَاقَ بِسَبَبِ مَدَائِحِهِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي عُرِفَ بِهَا. قَالَ عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ شَاكِرِ الْكُتَيْبِيِّ صَاحِبُ كِتَابِ "قَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ": "لَا أَعْلَمُ شَاعِرًا أَكْثَرَ مِنْ مَدَائِحِ النَّبِيِّ ﷺ أَشْعَرَ مِنْهُ" (الْكُتَيْبِيُّ، د.ت، صَفْحَةُ 4/294). وَذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي "الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ" أَنَّهُ "كَانَ ذَكِيًّا يَتَوَقَّدُ نُورًا، وَكَانَ يَنْظُمُ عَلَى الْبَدِيعَةِ سَرِيعًا أَشْيَاءَ حَسَنَةً فَصِيحَةً بَلِيغَةً، أَمَّا مَدَائِحُهُ فِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقَالُ إِنَّهَا تَبْلُغُ عِشْرِينَ مَجْلَدًا" (ابْنُ كَثِيرٍ، 2004، صَفْحَةُ 13/211).

وَذَكَرَ ابْنُ رَجَبٍ فِي كِتَابِ "الذَّيْلُ عَلَى طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ" أَنَّهُ كَانَ زَاهِدًا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِالرَّوَايَاتِ، وَيَسْمَعُ الْحَدِيثَ وَيَسْلُكُ بِهِ، وَيَقَالُ إِنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ "صَحَاحَ الْجَوْهَرِيِّ" بِكَمَالِهِ (ابْنُ رَجَبٍ، 1953، صَفْحَةُ 263). وَكَانَ عَظِيمَ الْجَهْدِ كَثِيرَ التَّلَاوَةِ عَفِيفًا صَبُورًا قَنُوعًا مُحِبًّا لِلْفُقَرَاءِ وَمُخَالِطَةً، وَكَانَ قَدْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي مَنَامِهِ، وَبَشَّرَهُ بِالْمَوْتِ عَلَى السَّنَةِ، وَنَظَّمَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً طَوِيلَةً، وَقَدْ حَدَّثَ.

وَيَذْكَرُ الْيُونَنِيُّ أَنَّ الصَّرَصِيَّ كَانَ قَدْ أَصِيبَ بِالْعَمَى فِي آخِرِ عَمْرِهِ، وَمِنْ شُعْرِهِ الدَّالُّ عَلَى ذَلِكَ:

رَضِيْتُ بِمَا تَرْضَى فَرَدْنِي بِهِ رَضَا وَذَلِكَ فَضْلُ زَادٍ مِنْهُ طَوِيَّتِي
حَجَبْتُ بِلُطْفٍ مِنْ صَنِيعِكَ مَقْلَتِي مِنْ النَّظَرِ الدَّاعِي إِلَى كُلِّ فِتْنَةٍ

(الْيُونَنِيُّ، 2007، صَفْحَةُ 1/75)

وَفِي عَقِيدَتِهِ كَانَ الصَّرَصِيُّ مُتَصَوِّفًا عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، شُعْرُهُ مَمْلُوءٌ بِذِكْرِ أَصُولِ السَّنَةِ، وَمَدْحِ أَهْلِهَا، وَلَهُ لَامِيَّةٌ طَوِيلَةٌ فِي مَدْحِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَصْحَابِهِ، وَمِنْ شُعْرِهِ الَّذِي يَثْبُتُ ذَلِكَ:

وَإِنْ تَسْأَلْنِي بِاعْتِقَادِي فَإِنِّي أَقُولُ بِأَعْلَى الصَّوْتِ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
فَإِنِّي عَلَى حَسَنِ اعْتِقَادِ ابْنِ حَنْبَلٍ مُقِيمٌ إِلَى أَنْ أَوْدَعَ اللَّحْدَ فِي قَبْرِي

(الصَّرَصِيُّ، الْمُخْتَارُ مِنْ مَدَائِحِ الْمُخْتَارِ، 2004، صَفْحَةُ 11)

عَاشَ الصَّرَصِيُّ مُعْظَمَ حَيَاتِهِ فِي بَغْدَادَ، وَكَانَ شَاهِدًا عَلَى دُخُولِ التَّتَارِ إِلَيْهَا وَاحْتِلَالِهَا، وَيَذْكَرُ ابْنُ رَجَبٍ أَنَّ هَوْلَاكَوْ لَمَّا دَخَلَ بَغْدَادَ مَعَ جُنْدِهِ الْكُفَّارِ، كَانَ الشَّاعِرُ الصَّرَصِيُّ بِهَا، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَاتَلَهُمْ، وَقَتْلَ أَحَدَهُمْ بِعَكَازِهِ (ابْنُ رَجَبٍ، 1953، صَفْحَةُ 263). وَيَذْكَرُ ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّهُ أَعَدَّ فِي دَارِهِ حِجَارَةً، فَحِينَ

دخل عليه التتار رماهم بتلك الأحجار، فهشم منهم جماعة، فلما خلصوا إليه قتل بعكازه أحدهم ثم قتلوه، ليسقط شهيداً سنة 656 هـ، وهي السنة التي سقطت فيها بغداد في يد التتار، وتم نقله إلى صرصر ليدفن فيها (ابن كثير، 2004، صفحة 13/211).

• أصول نظرية الحقيقة المحمدية:

ذكر محمود سالم محمد في كتابه "المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي" أنَّ الحقيقة المحمدية نظرية دينية مفادها أن الله تعالى بدأ خلق الوجود بخلق نور، هذا النور هو النور المحمدي، وهو أفضل ما في الخلق، ويرى محمود سالم أنَّ أصول هذه النظرية تعود إلى مؤثرات غربية عن الإسلام ترجع إلى المسيحية والفلسفات اليونانية والأفلوطينية، وتقول هذه النظرية إن النور المحمدي كان قد تجسد في أشخاص آخرين هم أنبياء الله، قبل أن ينتهي إلى تجسده الحقيقي والأخير، وهو رسول الله ﷺ.

وترى هذه النظرية أنَّ النور المحمدي كان قد أودع في صلب آدم، ومن رحم إلى رحم إلى أن أودع في صلب عبد الله بن عبد المطلب ورحم أمينة بنت وهب والدي رسول الله ﷺ.

وتعتبر هذه النظرية أنَّ النور المحمدي أول مخلوق، ثم جعلوا الوجود كله مخلوقاً من هذا النور.

واشتقت من هذه النظرية فكرة تفضيل رسول الله ﷺ على رسل الله وأنبيائه جميعهم، وقد صاغ المتصوفة من نظرية الحقيقة المحمدية فكرة الإنسان الكامل، مؤكدين أن المقصود هو النبي محمد ﷺ (محمود سالم محمد، 1417 هـ، صفحة 247-248)، وتعامل معها الشعراء الصوفيون على أنها نواة مدائحهم النبوية.

• نظرية الحقيقة المحمدية وتجلياتها في مدائح الصرصرى النبوية:

بعيداً عن المؤثرات الأجنبية والفلسفات اليونانية والأفلوطينية القديمة التي شكَّلت أساساً لهذه النظرية، فإنَّ الشاعر الصرصرى كان سنياً على نهج الإمام أحمد بن حنبل كما أسلفنا، ويذكر جاسم الدوسري في تحقيقه لكتاب "الدرة اليتيمة والمحنة المستقيمة" أنَّ الشاعر الصرصرى كان معروفاً بنصرته للسنة والرد على مخالفيها من الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع، حتَّى لقبه ابن القيم بـ "حسان السنة". (الصرصرى، الدرة اليتيمة والمحنة المستقيمة، 1424 هـ، صفحة 19).

وفي تقديمه لهذا الكتاب يوضح الصرصرى نهجه السني الحنبلي فيقول: "فإنِّي نظمتُ هذه القصيدة بنيةً صالحة وطويةً ناصحة لأعقل أمهات مسائل الفقه على ناشدها، وأقرب على حافظها نوازح شواردها، وقد سمَّيتها "الدرة اليتيمة والمحنة المستقيمة" على مذهب الإمام المجل المفضل المكمل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه". (الصرصرى، الدرة اليتيمة والمحنة المستقيمة، 1424 هـ، صفحة 41).

ورغم حماسه الفياضة للسنة وأهلها فقد كان شاعراً ذا نَفَس صوفي معتدل ظهر في مدائحه النبوية التي لا تخلو من الاستغاثة بالنبي ﷺ وطلب الدعاء منه، وقد تسرَّب إليه هذا التأثير الصوفي عبر صحبتته لعلِّي بن إدريس الزاهد أحد تلاميذ الشيخ العارف بالله عبد القادر الجيلاني (الصرصرى، الدرة اليتيمة والمحنة المستقيمة، 1424 هـ، صفحة 21)، وقد جعلت هذه الصبغة الصرصرى صوفي الفؤاد، ودليل ذلك أنَّ معظم قصائده تلخَّص نظرية الإنسان الكامل والنور المحمدي، ثمَّ إنَّه كان قد مدح المشايخ الصوفيين في إحدى قصائده التي مطلعها:

إن كنت تطلب منصب الأشراف فز القباب بشاطئ القراف

وكان أبو محمد الشنكي واحداً منهم فقال عنه:

والشنكي أبا محمد إنَّه مجد الجناح الرحب للأضياف

(الصرصرى، ديوان الصرصرى، د.ت، صفحة 315)

ويبدو أنَّ الشاعر الصرصرى كان متعلق القلب بالنبي محمد ﷺ، واسع الاطلاع على أصول نظرية الحقيقة المحمدية ونتائجها، كثير التوسُّل به - كما سنوضح في فصل لاحق - وقد احتوت معظم مدائحه على تبيان أصول تلك النظرية، وذلك النور الذي كان مستمداً من نور الله، ولطالما كانت مطالع تلك القصائد مغموسة بالشوق والحنين للأماكن التي عاش بها النبي الكريم ﷺ أو مرَّ منها، وكانت مقدِّمة المدحة النبوية إحدى النتائج التي زينت تلك النظرية، فنرى الصرصرى يتغنَّى بالكعبة المشرفة في أكثر من موضع، فيقول في مطلع إحدى قصائده:

واصلتنا بطيفها لمياء حين أرخت ستورها الظلماء

قلت: أتى ولات حين مزارٍ زرتنا في الدجى وأنت دُكاء

(الصرصرى، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 39)

وهنا يشبِّه الشاعر الكعبة المشرفة بالمحبوبة التي يميل لون شفرتها إلى السواد، تلك المحبوبة التي اعتبرها شمساً منيرة في الظلام.

ويقول في قصيدة أخرى:

حيَّتكَ السنة الحيا من دارٍ وكسستك حلَّتْها يد الأثرارِ

ومصونة حوت الهاء ستورها سمراء يُطربُ وصفها سُمَّارِ

(الصرصرى، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 180)

إذ يراها مغطاةً مصونة بفضل الحياء الذي ميَّزها، وقد أضفى ستارها الأسود جمالاً وبهاءً ونضرةً لها.

وقال يتذكَّر الديار المقدسة والمدينة المنورة ويتشوقُّ إليها:

هل لي بالبطحاء من نهلةٍ
وهل تمرّ العيس بي مرّةً
من وردها المستعذب السائغ؟
أخرى بمجرى السيل من رايع؟
تطلب من طيبة ربع المنى
مقيلها في ظلّها السائغ

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 242)

وقال في مطلع قصيدة أخرى معبراً عن حبه لأهل تلك الديار:

حي المنازل بالمحلّ الأشرف
عني تحيةً حافظٍ لعهودها
محميةً بمهندٍ ومثقفٍ
إن أسعفت بالقرب أو لم تُسعِفِ
مُزجت محبةً أهلها بخُشاشتي
كمزاج صفو الماءِ صرف القرقفِ

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 248)

وتتجلى أصول النظرية بوضوح في قصيدة "الروضة الناضرة في أخلاق المصطفى الباهرة" والتي مطلعها:

سبحان ذي الجبروت والبرهان
والعزّ والملكوت والسلطان

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 350)

وفي هذه النونية الطويلة التي اعتمدها نموذجاً للحديث عن أصول هذه النظرية، يؤكّد الشاعر أنّ النبي محمداً كان أوّل الخلق وأصل الوجود، وأنّ اسمه ﷺ كان مكتوباً في الجنة قبل خلق آدم عليه السلام، وأنّ نوره كان موجوداً على جبين سيدنا آدم عليه السلام، حيث يقول:

كتب الإله اسم النبي محمد
فسرى السكون به وقد كتب اسمه
فوق القوائم منه والأركان
في جنة المأوى على الأغصان
لولاه لم يُخلق أبونا آدمُ
قد كان آدم طينةً ومحمّدُ
يُدعى نبياً عند ذي الإحسان
لا تختفي عمّن له عينان
أنواره كانت بجمة آدم

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 351)

وثمة صور بيانية كثيرة يستخدمها الشاعر في هذا السياق منها أنّ الشاعر استخدم الاستعارة المكنية حينما جعل السكون كائنًا حيًّا يسري ويتحرك، وغرضه من ذلك إظهار الطمأنينة والسكينة المرتبطة بذكر النبي ﷺ، ثمّ نجده يشبّه النور الروحاني المحمّدي بشيء ماديّ ساطع في جهة آدم عليه السلام، وإنّما تعتبر هذه الاستعارة مبرزة لفكرة النور المحمّديّ وسموّ النبي ﷺ منذ بدء الخليقة.

وقد جاء توظيف الطباق بين جحيم النار ونعيم الجنان ليؤكّد الشاعر من خلاله على المكانة السامية للنبي ﷺ عند الله، فلولاه ما كانت الجنان ولا النيران، ولا كان الثواب والعقاب.

وقد أكّد الشاعر أنّ ذلك النور قد تنقّل في الأصلاب فقال:

وبصلب آدم كان وقت هبوطه
وبصلب إبراهيم حين رمى به
وبصلب نوح وهو في الطوفان
في ناره أشقى بني كنعان
من كلّ صلب طاهر أفضى إلى
أحشاء طاهرة الإزار خصان

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 351)

وفي هذه القصيدة لم يغفل الشاعر عن أصل آخر من أصول النظرية، وهو كون النور المحمّديّ أصل الكون والأفلاك ومظاهر الطبيعة، ويقول في

ذلك:

ما قابل الشّمس المنيرة في الضحى
إلا تلاًّ نوراً فعلاهما
والبدر وهو بأكمل الدّوران
فهما له بالفضل مُعترفان

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 386)

وعن تجليات النور المحمّدي في قبر النبي ﷺ وجسده، فإننا نجد الشاعر يوظّف هذا الأصل للحديث عن "ترحيب" النبي لضيوفه الذين جاءوا لزيارة

قبره، وقد تيقّن أنّ جسده الطاهر لا يبلى أبداً، فيقول:

وبقبره الملكُ الشريف موكّل
لكن إذا ما المرء قام تجاهه
ليبلّغ التسليم للبعدان
ردّ السّلام على القريب الداني
وهو الطّريُّ بقبره ما للبلى
والحادثات عليه من سلطاني

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 396)

• التَّوَسُّلُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فِي مَدَائِحِ الصَّرَصِرِيِّ النَّبَوِيَّةِ:

قبل أن نخوض في هذا الباب الواسع من أبواب نتائج نظرية الحقيقة المحمدية، كان من الملزم علينا أن نوضح معنى هذا المصطلح في اللغة، فقد ذكر صاحب اللسان أنّ الوسيلة هي المنزلة عند الملك، وهي كذلك الدرجة والقربة، ووسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملاً تقرب به إلى الله، والواصل هو

الراغب إلى الله، وتوسّل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل، وقيل إنّ الوسيلة هي الشفاعة يوم القيامة (ابن منظور، د.ت، صفحة 11/724)، وأورد الزجاج أنّ "ابتغوا إليه الوسيلة" التي وردت في الآية 35 من سورة المائدة تعني: اطلبوا إليه القرية (الزّجاج، 1988، صفحة 2/171)، وأكّد ذلك البغوي في تفسيره أنّ الوسيلة هي القرية، أي: اطلبوا التقرب إليه (البغوي، 1997، صفحة 3/51).

أمّا التعريف الاصطلاحي للتوسّل فهو التقرب إلى الله تعالى بجاه الرّسول، والتوسّل إنّما هو طلب من الله تعالى أن يقضي حاجة للمتوسّل بالنبي أو الولي، كأنّه يقول: يا رسول الله، أطلبُ منك بما لك من القرية والمكرمة عند الله تعالى أن تدعو الله تعالى بقضاء حاجتي. (الشرقاوي، 1992، صفحة 97-98).

أما المعنى الاصطلاحي للتوسّل عند شيخ الإسلام ابن تيمية فهو مرتبط بالوسيلة التي أمر الله بها عباده في قوله: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة" (القرآن الكريم، سورة المائدة، آية 35)، فابتغاء الوسيلة إلى الله إنّما يكون لمن توسّل إلى الله بالإيمان بمحمد وأتباعه، ويرى شيخ الإسلام أنّ لفظ التوسّل قد يراد به ثلاثة أمور؛ اتفق المسلمون على اثنين منها، واختلفوا في واحدة، أما الاثنان المتفق عليهما فهما التوسّل بالإيمان بالرسول، والتوسّل بدعائه وشفاعته (ابن تيمية، 1999، صفحة 35) فيما كان الإقسام على الله بشيء من المخلوقات مسألة نزاع مختلف عليها (ابن تيمية، 1999، صفحة 165).

ولطالما كان التوسّل بالنبي الكريم ﷺ والتشفّع به من لوازم المدائح النبوية ومن نتائج نظرية الحقيقة المحمّدية المتصلة بها، فلا تكاد هذه المدائح تخلو من التوسّل والاستغاثة والاستجارة وطلب العون والشفاعة من النبي ﷺ، ويرى محمود سالم محمد أنّ السبب الحقيقي الذي يقف وراء مدح الرسول ﷺ هو طلب الثواب على مدحه، وأنّ هذا الثواب لا يأتي بصورة مال أو منصب دنيوي، بل هو أمل ورجاء في أن يفرج الله كرب ذلك الشاعر المادح ويديم نعمه عليه، ويغفر ذنوبه (محمود سالم، 1417هـ، صفحة 259).

وهكذا فعل شعراء المدح النبوي جميعهم؛ حينما حرصوا على التوسّل في قصائدهم برسول الله ﷺ لرفع البلاء وتحقيق حوائج الدنيا ومحو ذنوب الآخرة، وطلب المغفرة من الله تعالى والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

ويذكر محمود سالم محمد سببا آخر للتوسّل في المدائح النبوية لدى الشاعر الصّرصري على وجه الخصوص، وهو أن هذا الشاعر عاصر فترة زمنية تضج بالغزو المغولي والصليبي على بلاد المسلمين، وكان لذلك التهديد الأثر الكبير في قصائده التي مدح فيها الرسول ﷺ، حتى ألفتها يتوسّل برسول الله ﷺ لنصرة العرب والمسلمين، وردّ المعتدين وكيدهم، ورفع الأخطار والفتن عن الأمة. (محمود سالم، 1417هـ، صفحة 265).

وقد أكّد الدكتور رائد عبد الرحيم ذلك حينما أظهر أنّ الشعراء في العصر المملوكي، وفي مدائحهم النبوية قد تعاملوا مع التوسّل مع منظورين اثنين؛ منظور التوسّل بالرسول لمحو ما يحيط الشاعر من ذنوب، ومنظور آخر يهدف إلى إزالة ما يعاينيه المجتمع المسلم من مصائب مختلفة كالكوارث الطبيعية والأمراض والفتن والصراعات والغزو (عبد الرحيم، 2020، صفحة 154).

وسنأتي على نماذج تطبيقية في مدائح الصّرصري النبوية، تتناول بتوسع هذين الهدفين من أنواع التوسّل بالنبي ﷺ.

• التوسّل بالنبي ﷺ لنصرة المسلمين على أعداء الدين:

عاش الصّرصري في بغداد في آخر حياته فترة مظلمة، عُرفت بكثرة الانتكاسات والانكسارات والهزائم والتشرذم في أقطار كثيرة وبقع متنوعة من العالم الإسلامي (الذهبي، 1993، صفحة 48/42-15)، ففي زمانه سقطت بغداد، وقُتل الخليفة العباسي المستعصم بالله، وسقطت بذلك الدولة العباسية، وسقطت في أعقابها الكثير من مدن الشام وفلسطين، ووقعت في قبضة هولاكو، وفي عام 656هـ -وهو عام سقوط بغداد- وقف الصّرصري الضير مدافعا عنها مقاوما المعتدين، فحاربهم بعكازه وبالحجارة قبل أن يقتلوه، ولذلك لا غرابة في أن نجد جزءا من أهداف توسّله بالنبي محمد ﷺ مخصصا لنصرة المؤمنين في أوطانهم على أعداء الدين، وفي مواضع كثيرة من مدائحه النبوية يستجير الصّرصري بالنبي محمد ﷺ ويستغيث به لنجدة بغداد وبلاد المسلمين قبل أن تقع تحت وطأة التتار، وكان مما نظم في هذا الشأن أن خاطب النبي محمدا ﷺ مستجيرا به:

يا كريم الأنساب يا من أنافت
بعلاه الآباء والأبناء
أنت ذخّر لنا وغوثٌ على خط
ب زمان به اللبيب يُساء

(الصّرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 48)

وفي ظل التهديدات الحقيقية وأجواء الخوف التي عاشها المسلمون في تلك الحقبة، قال مستغيثا بالنبي ﷺ في موضع آخر:

ألا يا رسول الله نحن على شفا
من الخوف والتهديد والكرب والتّقرب
وليس لنا إلا على حسن وعدك ال
كريم اعتماد فهو أحسن مقترّب
أغثنا أغثنا، مسّنا الضّرّ مسّنا
فأنت لنا عون على نازل التّوّب
لقد كدّر الخوف الملازم عيشنا
وما حسنٌ ممن يلوذ بك الهرّب

(الصّرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 62)

فهذه الأبيات تدل على ضغط نفسي شديد يمر به الشاعر، ويظهر ذلك من خلال تكرار الألفاظ كالخوف والتهديد والكرب ... ثمّ إنّها تكشف عن أبعاد نفسية جليّة عنده أبرزها الخوف والقلق والاضطراب والرّهبة الدائمة، ويظهر ذلك في قوله: "لقد كثر الخوف الملازم عيشنا"، إضافة إلى كشفها عن الشعور بالضعف والعجز عن مواجهة الشدائد، ويظهر ذلك من خلال تكرار الشاعر للرجاء والاستغاثة والتوسّل: "أغثنا أغثنا ..."

غير أنها تتضمن أيضاً شعوراً بالإحساس بالأمان في القرب من الممدوح، ويتجلى ذلك في قوله "أحسن مقرب" و " فأنت لنا عونٌ..." و " ما حسن مما يلوذ بك الهرب" إذ يبرز أنّ الالتجاء للرسول يمنح الشاعر الطمأنينة والراحة النفسية.

ومما لا شك فيه أنّ هذه الأبيات قد جمعت بين الخوف والضييق النفسي من جهة، والرجاء والاحتماء الروحي من جهة أخرى. وكان الصرصري قد أتى على ذكر أولئك الأعداء من التتار، والذين قدموا إلى بغداد لاحتلالها، ناسباً لهم صفة الضلالة والكيد والبغي والشرك، فقال مخاطباً النبي ﷺ في نائية له:

بوعدك نرجو النَّصْر يا سيّد الوري	على عصبية عن خطة الرشد ضلّيت
أنت تبغني دار السلام بكيدها	فلما رأّت أجنادك الغر ولّيت
وها هي في التهديد ما فترت ولا	ضمانرها عما وعدت تخلّيت
وما بيضة الإسلام إلا محلّة الـ	إمام التي بالعزّ منك استظلت
فكد كلّ باغٍ كادها فهي ملجأ	لعصبية إسلام مع الشّرك قلّت

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 82-83)

وفي ظلّ الشعور بالتهديد الدائم، يلجأ الشاعر إلى سلاح الرجاء والاحتماء الروحي بالنبي ﷺ لنصرة المسلمين واسترجاع عزّتهم. وفي قصيدة أخرى شبه الصرصري الأعداء من التّرك المعتدين على بغداد بالكلاب اللاهئة التي تعوي، ونسب لهم صفة الخبث، فقال:

وفي عصرنا جاءت إلينا عصابة	من التّرك تعوي كالكلاب اللواهي
يرومون من بغداد رأيا فأدبروا	بوعدٍ وفيّ منجزٍ غير ناكث
وأرجو لما يستقبل النَّصْر واثقاً	بذلك في دفع العداة الخباث

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 96)

وفي موضع آخر نجده يستنجد بالنبي ﷺ ويرجوه أن يسأل الرحمن النَّصْر والأمن وهلاك الأعداء، فيقول مخاطباً رسول الله ﷺ:

واسأل لأملك الحيا غداً فقد	فقد المزارع ماءها السّياحا
والأمن والعيش الرغيد ونصرة	لإمامهم ومعونةً وصلاحا
واسأل إلهك أن يكون بقره	لعدوّهم مستأصلاً مجتاحا

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 113)

وعن فتنة التتار التي رمت صميم البلاد، وفتكت بالعباد يقول الصرصري:

وفتنة التتر العظمى التي قرحت	منا لوقعتها الأحشاء والكبد
رمت صميم القرا منها بفاقرة	لم ينج من شرّها مالٌ ولا ولد
أودت بمن حولنا فتكاً وليس لنا	إلا إلى وعدك الميمون مُستند

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 122)

ولا تخلو هذه الأبيات من الإحساس بالحزن والألم، فالفتنة أثارها مؤلمة، والقرح يوجي إلى عمق الجراح النفسية وشدة المعاناة، وهي لا تخلو كذلك من الشعور بالخوف والاضطراب والإحساس بالعجز والانكسار، وكيف لا يكون ذلك والتتار قد فتكوا بالأولاد والبلاد ونهبوا الأملاك؟

وفي ظل ذلك كله لا يجد الشاعر نجاةً وملاذاً إلا من خلال الرجاء والالتجاء إلى الرسول ﷺ، إذ يؤكّد أنه ليس له "إلا إلى وعدك الميمون مستند".

وفي موضع آخر نجد الشاعر يستغيث بالنبي ﷺ شاكياً مستنصراً، فيقول:

يا من به أضحّت قبائل هاشمٍ	لأسود أبطال الرجال تسود
قد مسّنا الضّر الشديد وشقّنا	في كلّ عام يُقبِلُ التهديد
إن لم يكن في الحال شرٌّ حاضر	فلقد أتانا للعدوّ وعيد
فأغنث ضعافاً ما لهم من قوّة	إن لم تُغنّهم فالعدوّ عنيد

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 128)

وفي إحدى رثائياته، يصف الشاعر حالة الرعب والقلق التي كانت تحلّ بهم بصورة يومية، ثمّ نجده يدعو ويستغيث بالنبي ﷺ مركّزاً على صفات العزة والقوّة، فيقول:

قل يا شفيع الوري إذ لا شفيع لهم	سواك في موقف للخلق ضرار
عطفاً على عصبية قلّت فليس لهم	إلاّك مستنقذٌ يا خير نصّار
في كلّ يومٍ لنا رعبٌ يقلقلنا	فكن مجيراً لنا من كيد كُفار

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 191)

ثمّ إن الشاعر الصرصري قد أبدى في أكثر من مناسبة استغاثته بجاه النّبي ﷺ لإنقاذ الأمة في زمن صار الإسلام به غريباً، فقال:

سَلِّ لِي السَّلَامَةَ مِنْ أَدَى زَمَنِ بِهِ الْإِسْلَامُ مَغْتَرِبٌ غُرَاهُ تُنْقَضُ
تَسْطُو ثَعَالِبُهُ عَلَى آسَادِهِ وَأَسْوَدُهُ فِيهِ كَوَامِنٌ رُبُضُ

(الصَّرَصِرِيُّ، الْمُخْتَارُ مِنْ مَدَائِحِ الْمُخْتَارِ، 2004، صَفْحَةُ 223)

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، مُسْتَغِيثًا بِالنَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ كُلِّ مُلَمَّةٍ وَمُصِيبَةٍ كَيْ يَنْصُرَ أُمَّتَهُ، وَيُوفِّرَ لَهَا الْأَمْنَ وَالرَّخَاءَ:

يَا صَفْوَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ الْوَرَى يَا مَنْ بِهِ فِي الْخُطْبِ جَاشِي يُرْبِطُ
إِنِّي إِلَى رَبِّ الْعَلَا مُتَوَجِّهُ بَكَ عِنْدَ كُلِّ مُلَمَّةٍ تَتَمَغَّطُ
فَاسْأَلُ لَأُمْتِكَ الضَّعِيفَةَ نُصْرَةً وَرِخَاءً عَيْشِي ثُمَّ أَمْنًا يُبَسِّطُ

(الصَّرَصِرِيُّ، الْمُخْتَارُ مِنْ مَدَائِحِ الْمُخْتَارِ، 2004، صَفْحَةُ 231)

ثُمَّ كَانَ لَهُ أَنْ جَدَّدَ شِكَاوَاهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فِتْنَةِ التَّنَارِ وَحَصَارِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَاسْتِغَاثَتِهِ بِجَاهِ النَّبِيِّ ﷺ لِإِنْقَاذِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ:

أَشْكُو إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ فِتْنَةً كَادَتْ لَهَا الصَّمُّ الصَّلَابُ تَصَدِّعُ
سَلِّ جَبْرَ أُمْتِكَ الْكَسِيرَةِ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِ التَّجَلُّدِ مِزْعُ
مَحْقُتْ طَغَاةِ التَّرَكِّ أَطْرَافِ الْقَرْيِ فَالْمَالُ نَهْبٌ وَالْمَنَازِلُ بَلْقَعُ

(الصَّرَصِرِيُّ، الْمُخْتَارُ مِنْ مَدَائِحِ الْمُخْتَارِ، 2004، صَفْحَةُ 239)

وَفِي السِّيَاقِ ذَاتِهِ؛ نَجَدَ الصَّرَصِرِيُّ يَرْفَعُ إِلَى النَّبِيِّ شِكَاوَى أَهْلِ الْقَرْنِ السَّابِعِ الَّذِينَ كَانُوا يَخْشَوْنَ أَعْدَاءَهُمْ، رَاجِينَ أَنْ يَسْأَلَ لَهُمُ النَّصْرَ:

يَا سَيِّدَ السَّادَاتِ يَا مَنْ مَدَحَهُ فِي نَقْدِ أَهْلِ الْفَضْلِ غَيْرَ مَزْتَفٍ
فَاجْبِرْ بِفَضْلِكَ كَسْرَ عَبْدٍ يَأْتِسُ قَذَفَتْ بِهِ الْأَمَالُ نَحْوَكُ يَعْتَفِي
وَأَغْثْ بِعَوْنِكَ أَهْلَ قَرْنٍ سَابِعٍ يَخْشَوْنَ كَيْدَ مَعَانِدٍ وَمَخَوِّفٍ
فَاسْأَلُ لَهُمْ نُصْرَةً نُصِرَتْ بِمِثْلِهِ بِمَسْوَمِ يَوْمِ التَّرَالِ وَمَرْدِفٍ
فَلَأَنْتَ أَمْنٌ نَاصِرٌ وَأَعَزُّ مَا جَارِ الْمَلْتَجِي وَأَكْرَمُ مُسْعِفٍ

(الصَّرَصِرِيُّ، الْمُخْتَارُ مِنْ مَدَائِحِ الْمُخْتَارِ، 2004، صَفْحَةُ 252)

وَكَانَ مِنْ عَظِيمٍ مَا دَعَا بِهِ عَلَى التَّنَارِ، أَنْ قَالَ مُسْتَغِيثًا:

يَا مَنْ عَنَانِيهِ الْعَظْمَى لِأَمَلِهِ قَادَتْ جَمِيعَ مَطَايَا الْجُودِ بِالْخُطْمِ
إِنْ لَمْ تُغْنِنِي بِنَصْرِكَ مِنْكَ يَنْعَشُنِي أَوْ لَا فَمَا أَنَا ذَا أَبَدًا لِحَقًّا عَلَى وَضْعٍ
وَاسْأَلْ لَأُمْتِكَ النَّصْرَ الْمُبِينَ عَلَى عَصَابَةٍ عَنْ طَلَابِ الشَّرِّ لَمْ تَخْمِ
لَعَلَّهُمْ إِنْ أَتَوْا أَنْ يَصْبَحُوا وَهُمْ مِنْ بَيْنِ عَانِيٍّ وَمَقْتُولٍ وَمَنْهَزِمٍ
وَاسْأَلْ إِلَهَكَ أَنْ يَجْتَاحَ أَصْلَهُمْ وَأَنْ يَذِيقَهُمْ تَنْكِيلَ مُنْتَقِمٍ

(الصَّرَصِرِيُّ، الْمُخْتَارُ مِنْ مَدَائِحِ الْمُخْتَارِ، 2004، صَفْحَةُ 323)

وَخِلَاصَةُ الْقَوْلِ: مَرَّ الشَّاعِرُ فِي حَالَةٍ نَفْسِيَّةٍ مُضْطَرِبَةٍ جَمَعَتْ بَيْنَ الْأَلَمِ وَالْأَمَلِ، عَاشَ فِيهَا حَالَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْخَوْفِ وَالتَّهْدِيدِ وَالْقَلْقِ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَصِلَ

إِلَى حَالَةِ الْإِنْكَسَارِ، لَوْلَا تَمَسُّكُهُ بِالرَّجَاءِ وَالِاحْتِمَاءِ بِالرُّوحِيِّ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالتَّوَسُّلِ بِهِ لِإِزَالَةِ هَذِهِ الْغَمَّةِ،

وَقَدْ حَفَّزَهُ هَذَا الْأَمَلُ عَلَى مَقَاوِمَةِ التَّنَارِ حَتَّى آخِرِ رَمَقٍ دُونَ أَيِّ تَرَدُّدٍ، لِيَمُوتَ صَامِدًا شَامَخًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ.

• التَّوَسُّلُ بِالنَّبِيِّ لِقَضَاءِ حَاجَاتِ الشَّاعِرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ:

وَلَمْ يَغْفُلِ الصَّرَصِرِيُّ عَنِ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ طَلِبًا لِلْعَفْوِ وَالْعَافِيَةِ وَالسَّلَامَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّجَاةِ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ، وَإِنْقَاذِ

نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ مِنَ النَّارِ، فَكَثُرَ مِنْ مَنَاجَاةِ النَّبِيِّ وَمَخَاطَبَتِهِ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ، بِاعْتِثَالِهِ رِسَائِلَ مِنَ الشُّوقِ وَالْحُبِّ وَالرَّجَاءِ تَشْمَلُ فِي مَضَامِينِهَا كُلِّ مَعَانِي التَّوَسُّلِ

وَالْتَشَفُّعِ وَالِاسْتِجَارَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ ﷺ كَيْ يَقْضِيَ لَهُ حَاجَاتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَهِيَ هِيَ يَخَاطِبُهُ رَاجِيًا مُتَوَسِّلًا:

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا سَنَدِي فِي كُلِّ خُطْبٍ ثَقِيلٍ مُوجِعِ الْأَلَمِ
أَنَا الْمُقَرَّرُ بِذَنبِي قَدْ أَتَيْتُكَ مِنْ يَسْتَوْهَبُ اللَّهُ لِي ذَنْبِي وَمَجْتَرَمِي
فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي يَا مَنْ إِذَا نَزَلَتْ بِي شِدَّةٌ فِيهِ أَنْجُو مِنَ النَّقَمِ
وَاسْأَلْ لِي وَأَوْلَادِي وَذِي سَبَبٍ بِهِ بَلَغْتُ وَإِخْوَانِي وَذِي رَحِي
أَمْنًا وَصَوْنًا وَإِيمَانًا وَعَافِيَةً مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَشْرَى عِنْدَ مُخْتَلَمِ

(الصَّرَصِرِيُّ، الْمُخْتَارُ مِنْ مَدَائِحِ الْمُخْتَارِ، 2004، صَفْحَةُ 346)

وَفِي نَوْنِيَّتِهِ الطَّوِيلَةِ نَجَدَ الشَّاعِرُ يَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَكُونَ وَسِيطًا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ كَيْ تَصْفُو سِرِّيَّتُهُ، وَيُوفِّقَ فِي نَوَايَاهِ الْبَاطِنِيَّةِ، كَيْ يَنَالِ الرِّضَا، فَيَقُولُ:

يَا خَيْرَ مَنْ وَخَدَتْ إِلَيْهِ مَطِيَّةٌ مِنْ كُلِّ مَرْمَى نَازِحِ الْأَوْطَانِ
سَلِّ لِي إِلَهَكَ أَنْ يُوَفِّقَ بَاطِنِي لِرِضَاةٍ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ

(الصَّرَصِرِيُّ، الْمُخْتَارُ مِنْ مَدَائِحِ الْمُخْتَارِ، 2004، صَفْحَةُ 398)

وفي قصيدة أخرى نجده متوسلاً أن يتمَّ الله فضله عليه، وأن يُحسن آخرته، فيقول:

فيا من به بطحاء مكة أشرقت وزين مصلاًها به وصفها
بنورك وحدنا الإله فلم نرد سوى الله رب العالمين إلها
فسل ربك الرحمن إتمام فضله علينا بعقبى نستطيب جناها

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 419)

ومن جميل ما نظم الشاعر في الاعتراف بالذنب والاستغفار والتوبة وطلب الصفح قوله متوسلاً مستغيثاً بالنبي ﷺ:

يا رسول الله يا من مدحهُ في القوافي أقومُ الألفاظ قِيلاً
مَسْنِيَ ضَرَّ غَطَاءٍ سَاتِرٍ من ذنوبٍ غادرت قلبي كليلاً
أنا منها تائبٌ مستغفرٌ فسل الرحمن لي صفحاً جميلاً

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 426)

ويستعين الشاعر بالرسول ﷺ كي يسأل الله عز وجل له تيسير الحج إلى الديار الحجازية فيقول:

ألا يا فاتح الخيرات فتحا وباني قواعد الشَّرع بنيا
ومن نرجوه في سرِّ وجهٍ لكلِّ أمورنا ديناً ودنيا
سلِّ الرحمن لي في يُسرِّ حجٍّ أموت على تقاضيه وأحيا

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 434)

وفي موضع آخر نجده يمدح الرسول ﷺ ويتغنى بنوره الذي سبق كل الأنوار، راجياً منه أن يسأل الرحمن النجاة من أهوال يوم القيامة فيقول:

إذا ما ارتدى زان الهاء رداءه وإن يأتزر زان التقي فضل ثنيهِ
يفوقُ ضياءَ الشمسِ سنَّةُ وجهه ويُخجلُ مَيَّاسَ الغصونِ بمشيه
به أسألُ الرحمن ذا العرشِ دائماً نجاتي من هول يوم القيام وخزيه

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 438)

ويكرر الشاعر استغاثته بالنبي الشَّفيع ﷺ كي يسأل الله له بلوغ أهدافه في الآخرة فيقول:

يا فاتح الخير بالدنيا بمبعثه وبالشفاعة في الأخرى إذا انتدبا
لقد أتت في جمادى منك عاطفةٌ نحوي فألحق بها يا سيدي رجبا
فأنت تعلم ما قصدي وما أربي فاسأل لي الله أني أبلغ الأربا

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 78)

ومن عظيم ما نظم الصرصري في التقرب من رسول الله ﷺ والتوسل إليه: رجاؤه منه بالنجاة من أهوال يوم الحشر والنشور، وأمله في أن يرويه من

العطش في ذلك اليوم العسير، وأن يشفع له في محو ذنوبه، وأن يرزقه الإخلاص في القلب، والهداية والشكر في السراء والضراء، فيقول:

ألا يا رسول الله أنت وسيلتي إلى الله إن ضاقت بما رمت حيلتي
وأنت إذا ما حرث نوري وحجتي وأنت إلى التقوى إمامي وقيلتي
وأنت نبي، باتِّباعك أهندي وملئتك الزهراء ديني وملتي
وأنت نصيري في خطوب تتابعت عليّ وذخري عند فقري وشدتي
وأنت الذي أرجوه يوم نشورنا يروِّي الصدى مَنِّي وينقُعُ غلتي
فلا تُخلني من حسن عطفك واسأل الـ مهيمن ربَّ العرش في سدِّ خلتي
وكن لي في ذا اليوم ثَمَّت في غدٍ شفيعاً إلى الرحمن في محو زلتي
وأن يُسكن الإخلاص قلبي بذكره ويهديني عند انحرافي وضلتي
ويلهمني في العسر واليسر شكره على حالٍ إثمائي وفي وقت قلتي

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 80)

ونجد الشاعر يميل في توسُّله إلى طلب الشَّفاعَةِ المَرَّةَ تلو المَرَّةَ من رسول الله ﷺ للنجاة من يوم المعاد، فيقول:

يا من ظلال المكرمات به نمت وصفت مشارب بالضلال تكذرت
عطفاً على نفس إلى خلاقها بك في الخطوب توجَّهت واستنصرت
فكن الشَّفيع لها لتنجيها إذا علمت غداة معادها ما أحضرت

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 88)

• توسل الأنبياء بالنبي محمد ﷺ وبجاءه:

وعدا عن التوسل بالرسول محمد ﷺ لنجاة الأمة من الانكسارات، ونجاة النفس من مصائب الدنيا وأهوال الآخرة، فقد استوقفني نوع آخر من التوسل في أشعار الصرصري ومدائحه، وهو أن بعض الأنبياء كانوا قد نجوا في الدنيا بفضل جاه النبي ﷺ، ومنهم من كان يتوسل بالنبي محمد ﷺ ليكون له وسيطاً وشفيعاً عند الله كي يغفر له ذنوبه وتقصيره.

وفي كتابه "فصوص الحكم"، وتحت عنوان "فص حكمة فردية في كلمة محمدية" ذكر ابن عربي أن النبي محمد ﷺ هو أكمل موجود في هذا النوع الإنساني، ولهذا بُدئ به الأمر وخُتم، فكان نبياً وأدم بين الماء والطين (ابن عربي، 2016، صفحة 214).

ويعتقد الصوفيون أن سيدنا آدم كان قد توسل بالنبي محمد ﷺ ليغفر الله له خطيئته، ويعتمدون في إيمانهم هذا على حديث نبوي أورده النيسابوري في "المستدرک" فيما نقله الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ إذ قال: قال رسول الله ﷺ:

لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِي مَنْ رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، ادْعُنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ. وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ". (النيسابوري، 2018، صفحة 5/194)

ورغم أن هذا الحديث لم يرد في الصحيحين. ورغم أن ابن تيمية صنفه فيما بعد ضمن الأحاديث الضعيفة الواهية والموضوعة (ابن تيمية، 1999، صفحة 137)، فيبدو أن شاعرنا كان قد تأثر بهذا الحديث وهذه الفكرة، ورأى أن آدم عليه السلام كان قد طلب الوسيلة من النبي محمد ﷺ، كي يغفر الله خطيئته، قال الشاعر الصرصري:

كتب الإله اسم النبي محمد
فلذلك آدم حين تاب دعا به
فوق القوائم منه والأركان
متوسلاً فأجيب بالغفران

(الصرصري، المختار من مدائح المختار، 2004، صفحة 351)

وظهر هذا التأثير جلياً في مسألة التقدم الزمني وأسبقية النبي محمد ﷺ في الخلق على بقية الأنبياء، فاسمه مكتوب فوق القوائم والأركان. وفي توسل آدم -عليه السلام- به اعتراف صريح بقربه من الله، فكان الدعاء بواسطته، وكانت المغفرة الإلهية له إكراماً للنبي محمد ﷺ.

ويقول الصرصري في موضع آخر مبيّناً دعاء سيدنا آدم وحاجته لمن يتوسط له عند الله حتى يغفر له خطيئته:

لذلك آدم لما قام معتذراً
دعا به فأجاب الله دعوته
إذ غره من عدو الله تسويل
وكان منه له قرب وتبجيل

(الصرصري، ديوان الصرصري، د.ت، صفحة 397)

ومفاد ذلك أن آدم كان قد ارتكب الخطيئة بعد أن غره الشيطان، ثم ندم وقام معتذراً تائباً، فلجأ بالدعاء وطلب الوسيلة والوساطة والشفاعة من النبي محمد ﷺ، فكانت نتيجة ذلك مغفرة من الله ورضوان.

وجاء ذكر نتيجة توسل آدم بالنبي محمد ﷺ في موضع آخر في الديوان إذ يقول:

وفي المأ الأعلى وفي الأرض جمعها
رأى اسمك مكتوباً على العرش آدم
ثناؤك محمود الصفات جميل
فحين جنى ما كان منه دعا به
الصّفي عليه نضرة وقبول
فلله ما اسم للعثار مقيم

(الصرصري، ديوان الصرصري، د.ت، صفحة 389)

ويؤكد الصرصري هنا أن النبي محمد ﷺ كان ذا ثناء ومدح وإطراء في السماوات والأرض، وهو ذو جمال ونضرة واستبشار وقبول في المأ الأعلى، وكيف لا يكون ذلك وقد رأى آدم اسمه مكتوباً على العرش، فعرف مكانته الرفيعة عند الله ودعا الله به، فكانت المغفرة الإلهية هي الثمرة الطيبة التي جناها.

وفي قصيدة المديح التي مطلعها:

الحمد لله العظيم المحتجب
يتغنى الصرصري بالدرجة الرفيعة التي خص بها الله نبيّه محمدًا ﷺ، وبشفاعته لأخيه آدم عند الله فقال:
عن العيون ذو الجلال والرهب
لما بنى الله السماوات الرّحب
خطأ بساق العرش سطرًا وكتب
فيه اسم خير من الله اقتراب
وإتته فوق الخيام مكتتب
في جنة أشجارها من الذهب
عن العيون ذو الجلال والرهب
دعا توسلاً به فلم يخب
وإتته فوق الخيام مكتتب
في جنة أشجارها من الذهب
دعا توسلاً به فلم يخب

(الصرصري، ديوان الصرصري، د.ت، صفحة 57)

وهذا ما يؤكِّد أنَّ الله استجاب لهذا التوسل إكرامًا للنبي محمد ﷺ، وما يؤكِّد نظرية الحقيقة المحمدية، وكون النبي محمد ﷺ أول الخلق، من قبل آدم عليه السلام، ويؤكِّد حقيقة أفضليته على جميع الأنبياء.

وإضافة إلى توسل آدم - عليه السلام - به، فقد ألفت الشاعر الصرصري يذكر حاجة بعض الأنبياء إلى جاه النبي محمد ﷺ في الدنيا بحثًا عن النجاة مما أصابهم في زمانهم من مظالم وآلام ومتاعب، وفي ذلك يقول الصرصري:

كتب اسمه الرحمن تكريماً له سطرًا على العرش العظيم الأشرف
فراه آدم فاستقر بقلبه تعظيمه فبجاهه عنه عُفي
في صلب نوح حلَّ في طوفانه فبجاهه نوحٌ ومن معه كُفي
واختلَّ في صلب الخليل فأطفات أنواره نار العنيد المسرف

(الصرصري، ديوان الصرصري، د.ت، صفحة 332)

فبفضل نوره وجاهه عفا الله عن آدم، وكفى نوحًا شرَّ الطوفان، وبفضل أنواره جعل الله النار بردًا وسلامًا على إبراهيم.

الخاتمة:

ناقشت هذه الدراسة مسألة نظرية الحقيقة المحمدية في مدائح الشاعر الصرصري النبوية، وبحث في أصول هذه النظرية ونتائجها على المستويين النظري والتطبيقي، وركزت بالتحديد على مسألة التوسل بالنبي ﷺ كواحدة من نتائج نظرية النور المحمدي.

والصرصري - كما أسلفنا - أديبٌ ولغويٌّ وشاعرٌ صوفيٌّ حنبليٌّ أكثر من نظم المدائح النبوية، حتى اشتهر بها وذاع صيته في ميادين الشعر الصوفي، وقد وُلِدَ في صرصر وعاش في بغداد في العصر المملوكي الأول، ويقال إنَّ مدائحه في النبي محمد ﷺ وصلت إلى عشرين مجلدًا.

عُرف الصرصري بنوحيته الطويلة التي أطلق عليها اسم "الروضة الناضرة في أخلاق المصطفى الباهرة" وفيها يصول الشاعر ويجول في رحاب النبي محمد ﷺ وسيرته الذاتية والروحية والدينية، وبيان عظمته وسمو شأنه بين الخلق وبين الأنبياء، ونشأته وبيان معجزاته وفضله على البشرية كلها.

وفي قراءتنا المتعمقة لهذه القصيدة وجدنا أنَّها تنطبق وتتناسب مع أصول نظرية الحقيقة المحمدية ونتائجها، بدءًا من كون النبي محمد ﷺ أول الخلق وأصل الوجود، ثم تنقل نوره بين الأصحاب، وكون نوره أصل الكون والأفلاك، وصولًا إلى قبره الذي يحوي جسده الطاهر في البقاع الطاهرة، وفي بعض المدائح الأخرى وجدنا أن الصرصري لم يغفل عن مسألة مقدمة المدحة النبوية وتخصيص الكعبة المشرفة والديار المقدسة، والمدينة المنورة للدلالة على النبي الكريم ﷺ والإشارة إليه وإلى قدسيته.

وكان موضوع التوسل بالنبي ﷺ في هذه المدائح شغل الدراسة الشاغل، وقد خاضت الدراسة أولًا بتعريف التوسل لغةً واصطلاحًا، ووجدت في المعجم وبعض التفاسير القرآنية أنَّ أشهر معانيه هو طلب التقرب من الله، ثم توصَّلت الدراسة إلى أنَّ الصرصري كان قد تعامل مع التوسل من ثلاثة أبواب:

- الأول هو التوسل بالنبي محمد ﷺ لإخراج الأمة من كل المحن والمصائب التي حلت بها، ونصرة المسلمين على أعداء الدين من التتار وغيرهم، بعد أن استباحوا بلاد المسلمين، فكانت لغته في هذا الباب داخل القصائد مليئة بمظاهر الاستغاثة والاستعانة والرجاء وطلب العون من النبي، كي يتوسط عند الله لنجاة الأمة وحفظها من كل سوء.
- والثاني هو التوسل بالنبي ﷺ لحاجات ذاتية تتعلق بالشاعر، فتارة يرجو النبي ليكون شفيعه يوم القيامة وينقذه من أهوال يوم الحشر، ويستغيث به للنجاة من النار والفوز بالجنة، وتارة أخرى نجده يتوسل به طلبًا للعفو والعافية والسلامة في الدنيا، طامعًا في التوفيق في نواياه الباطنية، وتيسير أموره الحياتية.
- وكان الباب الثالث من جميل ما وجدنا من أنواع التوسل عند الشاعر الصرصري وهو توسل بعض الأنبياء بالنبي محمد ﷺ وبجاهه كي يكون لهم وسيطًا عند الله حتى ينجيهم من الأهوال التي تعرَّضوا لها في الدنيا أو حتى يغفر لهم ما قاموا به من ذنوب وخطايا، وضرينا لذلك مثلًا أبيات شعر نظمها الصرصري يظهر بها سيّدنا آدم مستغيثًا متوسِّلًا بالنبي محمد ﷺ بعد الخطيئة التي ارتكبها في حضرة الله، وما كان من نبينا الكريم ﷺ إلا أن كان شفيعًا له حتَّى غفر الله له، ومثلًا آخر من أشعار الصرصري يبيِّن فيها كيف أنَّ نوحًا نجا من الطوفان بفضل النبي وجاهه، وكيف أنَّ إبراهيم نجا من النار بفضل جاه النبي محمد ونوره.

أمَّا التوصيات التي نوصي الباحثين بتبنيها والعمل عليها؛ فتتلخَّص بمناشدتهم بالتعمق في دراسة أثر شعر الصرصري على من جاء بعده من الشعراء الذين نظموا المدائح النبوية وفق نظرية الحقيقة المحمدية - وهم كثر -، والبحث عن أي تقليد أو امتداد أو تجديد في مضامين أشعارهم، وما شملت من مظاهر وأساليب، خاصَّة عند الشاعر البوصيري صاحب البردة المشهورة، والذي عاصر الصرصري ومات بعده بعقود قليلة، والتركيز في المقارنة على جزئية التوسل بالنبي وبالأولياء، واستكشاف أنواعها وأسرارها وآثارها.

ثمَّ إننا نوصي الباحثين بإجراء مقارنة أو مقارنة بين المدائح النبوية في العصر المملوكي والمدائح النبوية في العصر الحديث، وتتبع أثر هذه النظرية الصوفية وانعكاساتها على العصور التي تلتها، وتأثيرها على الشعراء الذين تلووا الصرصري بقرون، وكانوا من الذين آمنوا بالنور المحمدي، ومن الذين اعتقدوا بالتوسل بالنبي ﷺ لتحقيق المراد، والله الموفق.

المراجع:

القرآن الكريم.

- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (1997) *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (1999). *قاعدة جلية في التوسل والوسيلة*. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، الإدارة العامة للطبع.
- الذهبي، شمس الدين. (1993). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. بيروت، دار الكتاب العربي.
- ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد. (1953). *الذيل على طبقات الحنابلة*. القاهرة، مطبعة السنة المحمدية.
- الزجاج، أبو إسحاق. (1988) *معاني القرآن وإعرابه*. بيروت، عالم الكتب.
- الزركلي، خير الدين. (د.ت). *الأعلام*. الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين.
- الشرقاوي، حسن. (1992). *معجم ألفاظ الصوفية*. الطبعة الثانية، القاهرة، مؤسسة مختار.
- الصرصري، جمال الدين يحيى بن يوسف. (2003). *الدرة اليتيمة والمحجة المستقيمة*. تحقيق: جاسم الدوسري، الطبعة الأولى، بيروت، دار ابن حزم.
- الصرصري، جمال الدين يحيى بن يوسف. (د.ت). *ديوان الصرصري*. تحقيق: مخيمر صالح، دُعم تحقيقاً ونشرًا من جامعة اليرموك.
- الصرصري، جمال الدين يحيى بن يوسف. (2004). *المختار من مدائح المختار*. تحقيق محمد محمد داود، دار المنار.
- عبد الرحيم، رائد. (2020). *نظرية الإنسان الكامل أو الحقيقة المحمدية في الخطاب الصوفي وأثرها في شعر المديح النبوي في العصر المملوكي*. الطبعة الأولى، نابلس، دار الشامل.
- ابن عربي، محيي الدين. (2016). *فصوص الحكم*. شرح: عبد الرازق القاشاني، الطبعة الأولى، القاهرة، دار آفاق للنشر والتوزيع.
- الكتبي، محمد بن شاكر. (د.ت). *فوات الوفيات والذيل عليها*. تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (2004). *البداية والنهاية*. لبنان، بيت الأفكار الدولية.
- محمد، محمود سالم. (1417هـ). *المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي*. دمشق، دار الفكر.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). *لسان العرب*. بيروت، لبنان، دار صادر.
- النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم. (2018). *المستدرک على الصحيحين*. تحقيق: محمد كامل قره بلي. الطبعة الأولى، دمشق، سوريا، دار الرسالة العالمية.
- اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد. (2007). *ذيل مرآة الزمان*. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.